التوسعة الجديدة في مركز القلب الملحق بمستشفى الثورة العام ستبدأ العمل بشكل تجريبي حتى يحين موعد افتتاحها رسميا في سبتمبر القادم، والمسئولون هناك سعداء بخطوتهم الجديدة

في الداخل نبض جديد

تحقيق/
محمد الظاهري:

لم يعد علاج القلوب (المكلف) خارج الحدود ضرورياً

لم يمض وقت طويل منذ كانت الحاجة إلى جراحة في القلب تعني كارثة، والمختصين متأكدين تماما أن التكلفة الحقيقية لجراحة القلب المفتوحة لا تقل عن سبعة آلاف دولار في أي مكان في العالم العربي، و"قد تصل إلى خمسة عشر ألف دولار في الدول الغربية" حسب جراح زار صنعاء مؤخرا.

بإضافة تكاليف السفر والإقامة، يكون الرقم كفيلا بسفك دماء المريض حين يعود ما لم يكن ثريا. لقد عاد كثيرون بقلوب سليمة بعد أن باعوا كل ما يستطيعون بيعه من ممتلكاتهم، وتحولوا إلى مدينين بشكل لا يسمح بمضاجعة النوم دون كوابيس.

كان الأمر يشبه التخلص من مرض في القلب والعودة بوجع فيه. حتى المبالغ التي تقدمها الحكومة عبر الجنة الطبية العليا لمن تتأكد أنه لا مفر من إسعافهم كانت تتضاءل أمام الخيار الوحيد المتاح: "السفر إلى الخارج".

الهم الثقيل

بقي الأمر هما ثقيلا يقض مضاجع طابور طويل من المرضى المعدمين وأهاليهم، حتى الحكومة نفسها كانت تشعر بالضيق، فإذا تمكنت من ضمان عدم استغلال الأمر لصالح أصحاء دون مشاعر.. يبقى أن الأمر فوق المطاق ماليا. وقد عرضها تفاقمه لكثير من الانتقادات.

ورغم تكاليف إنشاء مراكز متخصصة في جراحة القلب، فإن المشكلة الحقيقية كانت تتعلق بإجابة السؤال: "كيف ستعمل؟"، قال مدير عام مستشفى الثورة العام الدكتور أحمد العنسي: "إن جراحة القلب بحاجة إلى متخصصين دقيقين".

والأمر لا يتعلق بجراح القلب وحده، "إنه يعني فريق متكامل من الخبراء حتى أولئك المعنيين بنظافة المكان" حسب استشاري جراحة القلب المساعد في مستشفى الملك فيصل السعودي التخصصي الدكتور عبدالكريم الوصابي الذي زار صنعاء في وقت سابق.

تماثل للشفاء..

بعد أربع سنوات بذلت خلالها جهود مخلصة يشعر علي إسماعيل (٦٦عاما) الذي يتماثل للشفاء الآن أن مخاوفه من معالجة قلبه هنا في صنعاء تلاشت.

لقد تم استبدال الشرايين التالفة بنجاح دون أن يستدين. ويردد اليوم بإخلاص في غرفته في مستشفى الثورة: "الحمد لله.. الحمد لله".

خلال الشهور الماضية كان القلق هو كل ما يشعر به منذ فاجأته نوبة قلبية. إن تجارب آخرين اعتلت قلوبهم كانت مخيفة ولا تريد مفارقة مخيلته، فأحدهم عاد من الأردن بعد أن انفق أكثر من ثمانية آلاف دولار.

وقال علي أنه أجرى العملية على نفقة اللجنة الطبية العليا، إن المبلغ الذي تقدمه أصبح كافيا إذا كانت الجراحة ستجرى في مركز القلب الملحق بمستشفى الثورة، وحسب وزير الصحة الدكتور محمد النعمي فإن اللجنة تنفق على مائة حالة سنويا موزعة على محافظات الجمهورية.

هذه واحدة من النتائج، فالمركز منذ بدء العمل فيه عام ٢٠٠٠ يحظى بدعم الكثير من الجهات، وأصبحت المؤسسات ورجال المال أكثر تحمسا لتقديم المساعدة.

ربما يتنافى الأمر مع غرائز الصحفيين، فدائما يستهوينا البحث عن المثالب، لكنا لا نملك هنا إلا التصفيق، فهم يتقدمون بشكل جيد، وتمكنوا أخيرا من إيجاد مكان يعمل بشكل مختلف ويحظى بسمعة جيدة.

شهادات حقيقية

اسألوا أستاذ جراحة القلب في جامعة روما البرفسور الإيطالي (ليوشيانو أجاتي)، لقد أكد في آخر زيارة له إلى مركز القلب بأن "الكادر مدرب بشكل جيد جدا"، وأضاف: "تصل قدراته إلى مستوى الكادر في الغرب".

وشهادة أخرى لمخترع طريقة توسعة الصمام التاجي بالبالون المزدوج التي أحدثت نقلة هائلة في مسار العلاج بالقسطرة القلبية. قال الطبيب البريطاني (فليب بنهوفر) حين زار مركز القلب في صنعاء: "إنه يتفوق على ما يجري في اليمن بمراحل كبيرة جدا، إنه مكان مختلف".

ليس هؤلاء مستعدون للإدلاء بشهاداتهم جزافا.. إن التفكير بإمكانية ذلك أمر غير جيد، ويدعو للحرج. ويمكننا أخباركم بشيء آخر، إن استقدام هؤلاء للعمل في صنعاء واحدة من نجاحات المركز، فمنذ بدأ العمل والفرق الزائرة لا تتوقف.

منذ السابع والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠ وحتى نهاية مايو الفائت سجلت بيانات المركز ٢٣ زيارة قامت بها ست فرق مشهود لها عالميا، وأجرت مع الفريق الجراحي الدائم ١٤٥٣ عملية قلب مفتوح لم تكلف أكثر من ٢,٩ مليون دولا بمتوسط ألفي دولار للحالة الواحدة.

كانت هذه الجراحات ستكلف أكثر من عشرة ملايين و١٧١ ألف دولار لو أجريت في الأردن مثلا، يمكنكم ضرب الرقم بمتوسط تكلفة العلاج هناك وهي سبعة آلاف دولار.

الأكثر أهمية..

ويؤكد رئيس المركز الدكتور أحمد المترب: "كل الفرق التي زارت المركز ضمت جراحين يعدون بين أفضل جراحي القلب في العالم"، وبمقدوره أخباركم بشيء أكثر أهمية، "إن ١٠ في المائة من المرضى فقط دفعوا نفقات الجراحات التي أجريت لهم.

البقية حصلوا على نفقت الجراحات من الحكومة أو الجهات المانحة على رأسها مؤسسة طيبة الخيرية، أو الفرق الزائرة التي دفعت تكاليف الكثير من الجراحات بشكل مباشر أو مقابل معدات وأدوات قدموها مثل الصمامات التي تصل تكلفت الواحد منها ٨٠٠ دولار.

وقال الدكتور المترب: "يتحمل المريض أقل من ٣٠ في المائة من تكلفة العملية إذا كان قادرا"، وأضاف: "إنا نجري الجراحات بألفي دولار تقريبا فيما تصل تكلفتها الحقيقية إلى أكثر خمسة آلاف دولار دون احتساب أجور الجراحين أو تكاليف مرحلة ما بعد الجراحة".

وتصل التكلفة باحتساب أقل تقدير دون خسائر إلى سبعة آلاف دولار، وتفسير ذلك أن جراحات القلب المفتوح تتطلب توفير مواد استهلاكية مكلفة

جراح أردني: مركز القلب أكبر إنجاز طبي في اليمن

جراح إيطالي: قدرات كادره تساوي مستوى الكادر في الغرب

جراح بريطاني: إنه يتفوق بمراحل كبيرة.. إنه مكان مختلف

شهود بصحة جيدة

□ مطهر الكبسي

– قبل أن يتوجه مطهر الكبسي (٥٦ عاما) إلى مركز القلب في صنعاء كان قد أجرى اتصالا بالأردن، وأخبروه أن علاجه سيكلفه ثمانية آلاف دولار، لقد كان قلقا أول الأمر بشأن تدبر التكاليف.

وقال مطهر الذي يبدو اليوم بصحة جيدة في غرفته في مستشفى الثورة "الحمدلله أنه أصبح لدينا مركز هنا إن ذلك أفضل من الأردن"، لقد كلفته جراحة دقيقة في قلبه ٢٥٠٠ دولار فقط حصل على جزء من المبلغ بموجب قرار من اللجنة الطبية العليا.

ويعتقد مطهر أن فترة ما بعد العملية ليست جيدة، فهو لا يحصل على نفس المستوى من اهتمام طاقم التمريض والأطباء الذي كان يحظى به قبل الانتقال إلى غرف النقاهة، إن هذا مطلبه الوحيد.

– يشعر علي إسماعيل (٦٦عاما) الذي يتماثل للشفاء الآن أن مخاوفه من معالجة قلبه هنا في صنعاء تلاشت. لقد تم استبدال الشرايين التالفة بنجاح دون أن يستدين. ويردد اليوم بإخلاص "الحمد لله.. الحمد لله".

إن وجود المركز في صنعاء جعله يحصل على فرصة العلاج التي لم يكن ليتمكن من الحصول عليها فيما لو اضطر للسفر، وقال: "ظروفي لا تسمح لي بالسفر"، وقد أجريت لي الجراحة

□ علي إسماعيل

على نفقة اللجنة الطبية اليمنية.

على حد تعبيره: "لم أدفع سوى تكلفة عملية قسطرة القلب التي وصلت بعد التخفيض أربعين ألف ريال فقط" وأضاف: "أجروا لي قسطرة قلبية، لكنهم وجدوا ضرورة إجراء جراحة كاملة".

إنه مدين للطبيب الذي نصحه بالتوجه إلى صنعاء بعد أن أصابته نوبة قلبية مفاجئة في عدن حيث يقيم، وقال: "كانت هناك عناية جيدة.. بصراحة لم أكن أتوقع هذه العناية سواء من الأطباء أو الممرضين".

× × ×

– استبدل محمد يحيى الجبرلي (٦٠ عاما) شرايين معطوبة في قلبه على نفقة اللجنة الطبية أيضا، وهو سعيد بالنتائج، وقال: "كنت في البداية خائفا".

أول الأمر أجريت له عملية قسطرة قلبية كانت ضرورية، وقال: "قرروا بعدها إجراء عملية شرايين على حساب اللجنة"، ويؤكد الرجل الودود: "بصراحة كانوا مخلصين.. لم يقصروا".

إن الجبرلي ممتن أكثر "للبنات"

على حد قوله: "لم يقصروا.. خاصة البنات اليمنيات كن نشيطات وموجودات في أي وقت". إنها شهادة جيدة بالنسبة

□ محمد الجبرلي

للممرضات اليمنيات.

لكنه يريد أن يكون هناك جدول يحدد مواعيد إجراء الجراحات، فقد شعر بالتعب أثناء معاملات الوصول إلى غرفة العمليات.

× × ×

– تعاني مريم حمود الزين (٣٥ عاما) من تشوه خلقي في فؤادها، ومن المفترض أن تكون أجرت جراحة تعالج الأمر بعد أن حصلت على تكاليف الجراحة.

لقد أخبرنا شقيق زوجها الذي كان معها في المستشفى (علي حسين عبدالقادر): "حين علم الأطباء بظروفها لم يقصروا"، لقد ساعدوه في الحصول على ٣٠٠

إن زوج مريم موظف في البلدية لا يتجاوز مرتبه الشهري ٨٩٠٠ ريال، لهذا شعر بشقيقه بالخوف حين أخبروه بتكاليف العلاج، وقال: "كنا يائسا، ثم نصحنا أحدهم بتوضيح ظروفنا للمسؤولين في المركز وقد ساعدونا".

حصلت مريم على تخفيض قدره ٢٠ في المائة من التكلفة، وتكفل الصندوق الخيري في المركز بمبلغ مائة وأربعين ألف ريال كما وجدنا ذلك مدونا في ملفها، وتمكنت من تدبر بقية المبلغ.